الفصل الثانى
الاهتمام بتعلّم لغة أجنبية أو أكثر من اللغات الحية

أشرنا فى ثنايا كلامنا فى الفصل السابق أن التركيز على اللغة العربية واتخاذها لغة للعلم والحضارة فى نهضتنا المنشودة لا يلغى الاهتمام بتعلم اللغات الحية الأخرى ، وذلك لأن تعلّمها ضرورة من ضرورات التقدم والإثراء المعرفى . وحتى نعطى المسألة بعض حقها من الشرح علينا أن نستعرض آراء بعض أصحاب الخبرة الميدانية من علمائنا الكرام .

عُقِدَ فى عمّان سنة ١٩٧٤ م « اجتماع خبراء فى تعليم اللغة العربية لتحديد مشكلاتها وترتيب أولياتها ، واقتراح خطط لبحثها » ، وقد أشرفت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ الإدارة التربوية ـ على هذا الاجتماع ، وخرج المجتمعون بتقرير نهائى وتوصيات . ثم جاء الدكتور الناعورى[1] بعد عشر سنوات من إصدار هذا التقرير وتلك التوصيات ليتفحص الأمر ويرى هل من صدىً عملى لها ، أم أنها لا تزال أفكار نظرية بعيدة عن حقل التطبيق . قسّم الدكتور الناعورى تقرير ذلك الاجتماع إلى خطوات ، وجاء دور الخطوة الثانية منها وهى التى تتعلق بتدريس اللغة الأجنبية فى مرحلة التعليم الابتدائى ، فيورد النص التالى من التقرير : إن اللغة الأجنبية تزاحم اللغة العربية فى مدارس بعض الدول منذ الصف الأول فى المرحلة الابتدائية ، وفى بعضها فى الصف الثالث أو الرابع أو الخامس ، على حين تُرجئها أكثر الدول إلى المرحلة الإعدادية (المتوسطة) ... ثم يتحدث التقرير وراء ذلك مباشرة عن (ازدواج التعليم فى بعض الدول) .

يعلّق الدكتور الناعورى على هذا النص بقوله : أنا أؤمن بأنه لابد للطالب العربى من أن يكون عارفاً بلغة أجنبية ، إلى جانب اتقانه للغته العربية ، ولستُ أرى مانعاً من أن يبدأ تدريس لغة أجنبية ابتداءً من الصف الثالث من المرحلة الإبتدائية ، على أن لا يكون فى ذلك أى لون من ألوان (المزاحمة للغة العربية) ، فاللغة الأجنبية تُدَرَّس كلغة فقط ،

---

(١) الناعورى (د / عيسى) : لماذا تتجمد لغتنا وتزدهر لغات الآخرين ؟! من المسئول عن هذه الظاهرة الخطيرة ؟ . الدوحة (٩٩) ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م .

وأما مواد الدراسة الأخرى فكلها تدرس بالعربية وحدها ، لكى يتمكن الطالب العربى من اتقان لغته أولاً .

وإذا ارتقينا من هذه المراحل التعليمية إلى المرحلة الجامعية ثم إلى مجالات البحوث العلمية ، نجد الدكتور فاضل الطائى يدعو بالحجة والإقناع العلمى إلى اتقان لغة أو اثنتين من اللغات الأجنبية الحية بجوار اتقان وممارسة استخدام اللغة العربية الأم ، وقد شاركه الرأى نفر من علمائنا كالدكتور منتصر والدكتور شاهين والدكتور صينى والدكتور بدوى وغيرهم .

وللدكتور الطائى (وهو كيميائى عربى ومجمعى عراقى)[1] وجهة نظر تنص على أن يبدأ التدريس فى السنوات الأولى للمرحلة الدراسية الجامعية بلغة أجنبية حية ، ليسهل على الطالب مراجعة المصادر بتلك اللغة العلمية الأجنبية ، وبذلك نضمن قابليته على التتبع باللغة الأجنبية والإفادة من المصادر العديدة والمجلات العلمية ، فإذا حدث ذلك فلا بأس من تدريس العلوم فى السنوات الأخيرة من المرحلة الجامعية باللغة العربية ، على أن تكون المصادر أول الأمر فى اللغة الأجنبية التى يحسنها الطالب وذلك للأسباب التالية : ... وقد شرح جملة الأسباب التالية : عدم توفّر المصادر العلمية باللغة العربية ـ عدم وجود مجلات علمية دورية تصدر باللغة العربية ـ اللغة الأجنبية الحية ضرورية لنمو الترجمة والنشر ـ رفع المستوى العلمى فى الجامعات العربية .

إلّا أن فى مصر وفى جامعة القاهرة بالذات كان التدريس للعلوم يتم على عكس وجهة النظر هذه ، ففى السنوات الأولى كُنَّا ندرس المواد العلمية باللغة العربية ، ثم اختفت العربية فى السنوات الأخيرة لتحل محلها الإنجليزية ، وأظن أن الإنجليزية قد اكتسحت السنوات كلها الآن .

وخلاصة القول : أنه لابد لطالب العلم أن يجيد إحدى اللغات الأجنبية الحية على الأقل ليتسنّى له النمو العقلى فى حقل تخصصه والإسهام فى نقل الكتب العلمية الرئيسية إلى اللغة العربية ، والأمر يزداد إلحاحاً إذا وجهنا الكلام إلى أعضاء هيئات التدريس بالجامعات العربية والكليات العملية بها على وجه الخصوص .

---

(١) الطائى (د / فاضل) : لمحات علمية . مطبوعات المجمع العلمى العراق . ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٨ م .

يقول الدكتور التهامى نقرة ـ الأستاذ بكلية الشريعة فى تونس ـ إذا كان تعلم اللغات الحية ضرورياً لتعلم العلوم العصرية وإتقانها وترجمتها ، فإن تبدُّل اللغة كتبدُّل الأثواب المختلفة ، لا يكون سبباً فى تغيير ملامح العصر ... وقد صبَّ الفرنسيّ مثلاً نتاج العصر فى لغته الفرنسية ، فصار بذلك معاصراً لزمانه ، وكذلك فعل الإيطالى والألمانى والروسى واليابانى . فلا مبرر إذاً لمعارضة بعد المتحذلقين ترجمة العلوم العصرية ، ظنًّا منهم بأن هذه العلوم لا يليق بها إلّا الثوب الإنجليزى أو الفرنسى أو غيرهما من لغات الأمم المتقدمة ...إنه لا يحق لنا الحديث عن وجودنا فى عصرنا قبل أن نجد هذا العصر بكل مقوماته قد نطق بلسان عربى ، وبقدر ما نسكب مادة العصر فى إنائنا اللغوى يكون نصيبنا من المعاصرة مع احتفاظنا بأصالتنا . ومن الطبيعى أن القدرة على ترجمة العلوم العصرية لا يمكن أن تتم إلّا إذا أتقن أبناء العربية اللغات العالمية الأخرى أو على الأقل لغات الدول المتقدمة تقنياً حالياً ، ومن الطبيعى أيضاً أن هذا الإتقان لا يكون على الوجه السليم إلّا إذا روعى ذلك لابن العربية منذ نعومة أظفاره .

ويقترح الدكتور شحادة الخورى[1] خطة يمكن تطبيقها فى التعليم الإعدادى والثانوى والتعليم العالى على الأسس التالية :

١ ـ نمكّن الطالب من أن يتعلم لغة أجنبية واحدة على الأقل فى المدارس الإعدادية والثانوية .

٢ ـ نساعد الطالب فى الجامعة على إتقان اللغة التى تعلّمها فى المرحلة الثانوية ونخصّه بدروس بتلك اللغة تتصل باختصاصه .

٣ ـ ندرج فى الكتب المؤلفة والمترجمة المصطلحات الأجنبية وبجانبها المقابلات العربية إما فى متن النص أو فى مسارد تُدْرج فى أواخر الكتب .

(١) الخورى (شحادة) : تدريس العلوم باللغة العربية فى الوطن العربى . المجلة العربية للعلوم . ٦ (٥) ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م .